المحافظة على البيئة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية

أحمد محمد بيومي الرخ.

قسم أصول الفقه، كلية الدراسات الإسلامية للبنين، جامعة الأزهر، أسوان، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: ahmedalrokh.islam.asw.b@azhar.edu.eg

ملخص البحث

مقاصد الشريعة الإسلامية هي الغايات والأهداف التي وُضِعت الشريعةُ لأجل تحقيقها لمصالح العباد، وقد سخر الله تعالى البيئةَ لخدمة الإنسان، وتزويده بمختلف العناصر الضرورية لقيام حياته. والمحافظة على البيئة من الموضوعات المهمة التي ينبغي أن تتجه إليها أنظار الباحثين - كلٌّ في مجال بحثه وتخصصه - للبحث عن عوامل تنمية الموارد البيئية، والنظر في أسباب مشكلة المخلَّفات، ثم العمل على إيجاد الحلول اللازمة لها، ومن هنا كانت كتابتي في هذا الموضوع المهم. **وأستطيع أن أستخلص أهم نتائج البحث فيما يلي**: أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان. وأن إظهار الغايات والحِكَم والمعاني المقصودة من الأحكام الشرعية، ينبغي التنبُّه إلى عدم تفويتها عند إجراء الاجتهاد المقاصدي في ظل الظروف المتجددة في الواقع المعاصر. وأن المقاصد الشرعية مكملة للأدلة الشرعية، يستعين بها مَن تكاملت عنده الأدلة الشرعية الناهضة بالمقاصد. وأن الأخطاء المرتكبة في حق البيئة من بعض الناس ليست من الإسلام في شيء، وإنما هي نتاج الجهل بمقاصد الشريعة الإسلامية. **ومن أهم توصيات البحث**: حث

العلماء والباحثين على الغوص في أعماق الشريعة الإسلامية لاستخراج مقاصدها وإبرازها. والحث على زيادة الوعي البيئي والعمل على نشره بين الناس. وضرورة الاهتمام بحصر وتشخيص مشاكل البيئة، وتكثيف الجهود نحو مكافحة تلوث البيئة بمختلف أنواعه. وتوجيه الشركات الصناعية إلى القيام بمعالجة المشاكل البيئية الناتجة عن الصناعات المختلفة، والعمل على إعادة تصنيع المخلفات للاستفادة منها مرة أخرى.

الكلمات المفتاحية: مقاصد ، الشريعة ، البيئة ، موارد ، مخلَّفات.

Preserving the environment in the light of the purposes of Islamic law

Ahmed Mohamed Bayoumi AL Rakh

Department of Fundamentals of Fiqh, Faculty of Islamic Studies, Al-Azhar University, Aswan, Egypt

Email: ahmedalrokh.islam.asw.b@azhar.edu.eg

Abstract

The purposes of the Islamic Sharia are the goals and objectives that the Shariah has been set in order to achieve the interests of the people, God Almighty subjected the environment to serve man, and provide him with the various necessary elements for the establishment of his life. Conservation of the environment is one of the important topics that should be turned to the attention of researchers - each in the field of research and specialization - to search for the factors of development of environmental resources, and to look at the causes of the problem of waste, and then work to find the necessary solutions to it, hence my writing on this important topic. I can draw the most important search results as follows: Jurisprudence is valid at any time and place. To show the intended purposes, judgment and meanings of the Sharia provisions, it should be borne in mind that they should not be missed when performing purposes of diligence under renewed circumstances in contemporary reality. That the purposes of legitimacy complementary to the legitimate evidence, used by those who have complementary evidence for the promotion of the purposes. That the mistakes made against the environment by some people is not from Islam at all, yet it is the product of ignorance of the purposes of Islamic law. And the main recommendations of the research: Motivating scientists and researchers to dive into the depths of Islamic law to extract

the purposes and highlight. Urge the increase of environmental awareness and dissemination among people. Paying attention to restricting and diagnosis of environmental problems, and intensify efforts towards combating pollution of all kinds. Directing industrial companies to deal with environmental problems resulting from different industries, and recycling waste to benefit from them again.

Keywords: purposes, Sharia, Environment, Resources, Waste.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين.

أما بعد

فمما لا شك فيه أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، فأحكامها كليات ومعان تشتمل على حِكَم ومصالح صالحة لأن تتفرع منها أحكام مختلفة الصور متحدة المقاصد(١).

ومعنى صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان: أنها - بكل أوامرها ونواهيها - توجه الإنسان دائماً إلى كماله، وتبعده عما ينتقص من إنسانيته، أو يلحق به الدمار والهلاك(٢).

ولم يختلف أحدٌ من المسلمين في أن الشريعة الإسلامية قائمةٌ على حِكَم ومقاصد لرعاية مصلحة الخلق واللطف بهم، وتحسين أحوالهم في معاشهم، وفيما يثيبهم في معادهم، كما أنهم لم يختلفوا في أن استنباط القواعد الشرعية يستند في كثير من مصادره إلى البحث عن هذه الحِكَم التي راعاها الشارع، وجعل بعض الأوامر والنواهي أمارةً عليها(٣).

---

(١) **ينظر**: مقاصد الشرعية الإسلامية للطاهر بن عاشور (ص٩٢).

(٢) **ينظر**: أصول التشريع لإسلامي (ص١٩٧).

(٣) **ينظر**: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (ص٢٥٦).

وقد سخر الله تعالى البيئةَ لتزويد الإنسان وسائر الكائنات الحية بمختلف العناصر الضرورية لقيام حياتهم، حيث سخر لهم الشمس والقمر دائبين، وأرسل الرياح والسحاب لينزل من السماء ماء عذباً يحيا به كل مَن يعيش على هذه الأرض، وذلك وفقاً لقوانين ونظم تتميز بالدقة والإتقان.

لكن الواقع يشهد أن هذا النظام البديع يقابَل من بعض الناس بالإفساد، حين يندفع الإنسان اندفاعاً شديداً نحو إشباع شهواته من مختلف الموارد التي تزخر بها البيئة الطبيعية، متناسياً بذلك أن هذه البيئة الطبيعية عبارة عن نظام متناسق، يرتكز على قيام كل مكون من مكوناته بدوره المنوط له.

وقد تعددت مظاهر إفساد الإنسان في البيئة الطبيعية بتعدد أنواع نشاطاته التي يمارسها، فقد يقوم بتصرفات فردية أو جماعية تنتهي إلى إحداث خلل في انتظام موارد البيئة، ويكون لذلك الخلل أثره السلبي على الحياة.

ومن أبرز هذه المظاهر: مشكلة تلوث البيئة، التي تعاني منها البشرية اليوم، والتي تعتبر مثالاً واضحاً على سوء تعامل الإنسان مع موارد البيئة الطبيعية، حتى أصبحت هذه المشكلة مصدر كثير من المشاكل الصحية التي يعاني منها الإنسان وغيره من الكائنات الحية.

ونظراً لأن الإنسان بطبيعته يتصرف بتأثير عوامل متعددة من دوافع واتجاهات مختلفة، فإنه مهما سُنت القوانين التي تنظم استغلال الموارد الطبيعية وصيانتها، فإن القوانين وحدها لا تكفي لضمان التصرف السليم من قِبل بعض الأفراد، ولهذا فإن الأساس في ذلك هو عنصر الإيمان بالله تعالى، والالتزام بأحكامه التي شرعها للناس.

ومن هنا ندرك أن مشكلة التلوث البيئي تعكس قمةَ الجهل وتدني الوعي بمقاصد الشريعة الإسلامية في دعوتها إلى المحافظة على البيئة بكل مواردها الطبيعية.

فقد جاءت الشريعة الإسلامية تبتغي تحقيق المقاصد الشرعية الضرورية، ومنها مقصد حفظ البيئة، وذلك حتى تستقيم الحياة وتنمو كما أرادها الله تعالى.

قال الغزالي[1]: مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة[2].

وإذا كنا لا نجد عند علماء المقاصد المتقدمين إبرازاً لمقصد (المحافظة على البيئة) مقصداً مستقلاً قائماً بذاته ضمن ما قرروه من المقاصد الضرورية، فلعلَّ ذلك يرجع إلى أنهم لم يكونوا يتصورون أن هذا الإنسان الصغير قادر على أن يُحدث الخلل في هذا العالم الكبير بما يعود على الحياة فيه بالضرر

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي، الملقب بحجة الإسلام، ولد سنة (٤٥٠هـ)، كان فقيهاً أصولياً متكلماً، تفقّه على إمام الحرمين وجدّ واجتهد في الدرس عليه، وفاق أقرانه، من مصنفاته: (المنخول)، و(المستصفى) في أصول الفقه، و(إحياء علوم الدين) في التصوف و(الوسيط) في الفقه، توفي سنة (٥٠٥هـ).
ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢١٣/١٦)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٨/٦).
(٢) المستصفى من علم الأصول (٤١٧/١).

العظيم، بل بما ينذر بفناء الحياة من أصلها، ولكن لما تبين الآن أن الإنسان قادر على ذلك، بل هو قد اقترف ذلك بالفعل، فإنه من الواجب أن يُعنى بمقصد حفظ البيئة ليكون مقصداً ضرورياً من مقاصد الشريعة، ويكون مع مقصد حفظ المال مندرجاً ضمن مقصد أعلى، وهو حفظ المحيط المادى الذي يعيش فيه الإنسان(١).

ومن هنا أحببتُ الكتابة في هذا الموضوع المهم في الواقع المعاصر؛ لإبراز أهمية تفعيل مقاصد الشريعة الإسلامية في المحافظة على البيئة.

والمحافظة على البيئة تكون من جانبين:

الأول: المحافظة على مواردها الطبيعية.

والثاني: التخلص من كل ما يؤدي إلى إفسادها من المخلفات وغيرها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

أولاً: بيان صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.

ثانياً: إبراز أهمية العلم بمقاصد الشريعة الإسلامية، وتفعيلها في الواقع المعاصر.

ثالثاً: التأكيد على أنَّ المحافظة على البيئة قد حثَّ عليه الإسلام وأكده.

رابعاً: تقديم رؤية عامة للمحافظة على البيئة من جانبي: تنمية مواردها،

---

(١) **ينظر**: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، د/ عبد المجيد النجار (ص٢٠٨).

والتخلص من مشاكلها، في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية.

خامساً: بيان أن الإنسان خُلق لغايات وأهداف سامية، ولم يُخلق عبثاً.

منهجي في البحث:

اعتمدتُ في كتابة البحث على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتتبع لما يتعلق بهذا الموضوع، ثم المنهج التحليلي، وذلك من خلال التركيز في مقاصد الشريعة، ثم النظر في سبل تفعيلها فيما يتعلق بتنمية الموارد البيئية والتخلص من المخلَّفات الناتجة.

وقد اتبعتُ لتحقيق هذا المنهج ما يلي:

أولاً: رجعتُ إلى المصادر الأصيلة في علم أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية، ولم أغفل النظر في المصادر الحديثة مما له علاقة بموضوع البحث.

ثانياً: ذكرتُ المقاصد الشرعية مشفوعة بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة؛ وذلك لأن المقاصد عاضدة للأدلة ومكملة لها، فلا يعول على المقاصد من حيث أنظار المجتهدين مجردة عن الأدلة.

ثالثاً: عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية.

رابعاً: خرَّجتُ الأحاديث النبوية والآثار عند أول ورودٍ لها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ به، وإن لم تكن فيهما خرَّجتها من كتب الحديث الأخرى، ناقلاً أقوال علماء الحديث في الحكم عليها، والتزمتُ في عزوها إلى مصدرها بذكر الكتاب، والباب، ورقم الجزء،